شواهد جديدة .. على الإعجاز العلمى للقرآن

إن القرآن الكريم يحتوى على مئات الآيات الكونية ، وكل هذه الآيات ، حتى التى تتحدث عن ظواهر كونية ستحدث مستقبلا ، تنطق ، أو هى نطقت قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ، مما تنطق به أمهات كتب الطبيعة والفلك الحديثة ، من حقائق علمية ثابتة ثبوتا قطعيا ! !

د . منصور حسب النبى
رئيس قسم الطبيعة

القرآن الكريم كتاب الله الخالد ، الذى لا تنقضى عجائبه حتى تقوم الساعة . والكون العظيم كتاب الله المفتوح ، ولهذا فإن الحديث عن الكون فى القرآن الكريم يكاد لا يتوقف ، وفى أسلوب رائع وإعجاز علمى بالغ ، يوقظ عقل الإنسان فى رفق ويسر ، ويخاطب كل البشر على اختلاف عقولهم وأزمانهم . ولقد هالنى ، بوصفى متخصصا فى علم الطبيعة ، ذلك الاتفاق المذهل بين آيات القرآن التى تتحدث عن ظواهر طبيعية وفلكية وبين حقائق العلم الحديث . وكان رأيى ، ولا يزال ، أن الغيرة على القرآن لا يجوز أن تحول دون إبراز أوجه الإعجاز العلمى فيه ، بدعوى أن العلم يتغير . وهذه مغالطة ، لأن العلم الصحيح لا يتغير ، لأنه نتيجة لحقيقة ثابتة ثبوتا قطعيا . ويمكن القول بأن العلم الآن يتطور دون أن يتغير فى حقائقه الأساسية . وبناء على ذلك أؤكد أنه لن يحدث تناقض بين العلم والقرآن فى يوم من الأيام إلا إذا فصل العلم طريقه . وهذه مسألة أخرى .

وهناك قضية أخرى تقتضى منا نحن المسلمين الحرص بل السعى وراء إبراز أوجه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، وهى عرض الإسلام عرضا مناسبا فى مواجهة الحضارة الحديثة ، وإثبات صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ لمن ينكرونها على اختلاف بواعثهم ، خاصة أن هذا الإنكار يقوم على ادعاء هؤلاء المنكرين زورا وبهتانا أن القرآن الكريم من تأليف البشر ، وليس وحيا من الله ! وأستطيع أن أؤكد أن أضواء العلم الحديث قد كشفت عن عظمة الإسلام ، وأثبتت أن القرآن كتاب الله ، وأن محمدا رسول الله إلى البشرية ، والدليل على ذلك هو تعرض القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا لأحدث ما وصل إليه العلم فى القرن العشرين ، وصدق الله العظيم إذ يقول : سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

إن القرآن الكريم يحتوى على مئات الآيات الكونية ، ولقد ما كانت دهشتى حين وجدت أن كل هذه الآيات ، حتى التى تتحدث عن ظواهر كونية ستحدث مستقبلا ، تنطق ، أو هى بالأحرى نطقت قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ، مما تنطق به أمهات كتب الطبيعة والفلك الحديثة من حقائق علمية ثابتة ثبوتا قطعيا . وبطبيعة الحال لا يتسع المجال هنا لتناول تلك الآيات كلها ، والعشم أن أتمكن قريبا من إصدار كتاب لهذا الغرض ، يتناول الكون بين العلم والقرآن . أما الآن فحسبى أن أشرك القارئ معى فى تأمل بعض النماذج التى تؤكد ما أذهب إليه .

د. منصور حسب النبى

انشقاق القمر

□ يقول الله تعالى فى مطلع سورة القمر « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

ورغم أن بعض المفسرين يقولون إن القمر قد انشق فعلا فى زمن الرسول ﷺ كأحدى معجزاته ، فإن البعض الآخر من المفسرين يرى أن التعبير بالفعل الماضى عن حدث ما ، يستخدم عادة فى الأصل البلاغى فى مقام التعبير عن المستقبل تأكيدا لتحقق وقوعه ، ولهذا فإن الرأى الأرجح هو الذى يجعل انشقاق القمر فى المستقبل مقترنا بقيام الساعة أو مقدمة لها ، ولأسباب كثيرة فإننى أفضل هذا الرأى . منها أن منهج الإسلام قوامه مخاطبة العقل بالدليل والبرهان لا بالمعجزات والآيات المادية الخارقة التى كذب بها الأولون ، مصداقا لقوله تعالى فى سورة الإسراء . . . « وما منعنا أن نرسل بالآيات ، الا أن كذب بها الأولون » .

والعلم الحديث يقرر أن انشقاق القمر فى المستقبل كمقدمة لاختلال نظام الكون ، أمر مؤكد ، نظرا للتغير التدريجى للعلاقة بين الأرض والقمر ، بتأثير عوامل مختلفة ، أهمها ظاهرة المد والجزر :

فمن المعروف أن هناك جذبا متبادلا بين الأرض والقمر ، وتؤدى قوة جذب الأرض للقمر إلى دورانه حولها ، الأمر الذى نشأ عنه قوة طاردة مركزية توازن جاذبية الأرض له ، فيستمر فى الدوران فى انتظام . أما قوة جاذبية القمر للأرض فتؤدى إلى ظاهرة المد والجزر ، حيث يعمل القمر على جذب مياه البحار والمحيطات أثناء مواجهتها له ، فيحدث المد وتدور الأرض حول نفسها بهذا الماء الممدود « المشدود » ، ليواجه القمر ماء آخر على سطح الأرض فيحبه المد بجذب القمر ، ويهبط الماء الأول بعد أن فاته القمر فيحبه الجزر من بعد المد . وهكذا تدور الأرض ، فيتناوب جذب القمر لسطوحها المائية ، ويتعلق مائها بالقمر ، فيعوق هذا التعلق الأرض فى دورانها ، تماما كالرجل يدور حول نفسه ، وتمسك أنت بأطراف ثوبه ، وكلما أفلت من يدك طرف أمسكت بطرف آخر ، فهذا يعوق دوران الرجل حول نفسه .

ولكن هذا التعويق اليومى لدوران الأرض حول نفسها ، ضئيل للغاية ، ولا يتجاوز ٠,٠٠٢ من الثانية كل مائة سنة ! ورغم هذا فقد تراكم هذا التعويق عبر ملايين السنين ، لدرجة أن يوم الأرض بعد أن كان عند نشأتها أربع ساعات ، أصبح الآن أربعا وعشرين ساعة ، وسيزداد طول اليوم زيادة محسوسة بعد ملايين السنين فى المستقبل . وحيث إن هذا التعطيل سوف يؤدى إلى نقص كمية التحرك الدورانى للأرض فإن كمية التحرك الدورانى للقمر لابد أن تزداد (طبقا لقانون ثبوت كمية التحرك لأية مجموعة مرتبطة بعضها كالأرض والقمر مثلا) وبهذا فإن القمر سوف يسرع فى الدوران مما يؤدى طبقا لحسابات تفصيلية إلى ابتعاده أولا عن الأرض ثم يتطور الوضع إلى اقترابه منها ، حتى يصل إلى مكان قريب لدرجة أن الفرق فى جذب الأرض المتناقل على الجزء من القريب والبعيد من القمر ، يشق القمر شقا فشقا ! !

فكيف يستطيع سيدنا محمد ﷺ ، وليست معه الوسائل العلمية النظرية والعملية لذلك ، أن يتعرض لظاهرة انشقاق القمر وغيرها من الظواهر الكونية ؟

تكور الشمس

□ من المعروف علميا أن الشمس نجم مستعر من النجوم ، وحجمها الحالى أكبر من حجم الأرض مليون مرة ، وأن أى نجم يمر فى مراحل تطوره بفترات الميلاد والطفولة والشباب والشيخوخة والوفاة ويتوقع العلماء أن الشمس ستتطور عند شيخوختها إلى نجم عملاق أحمر !

حيث تزداد درجة حرارة باطنها إلى مائة مليون درجة ، فتتمدد كرة الشمس الحالية ، وتزداد مساحة سطحها الخارجى ، بحيث تبتلع كوكبى عطارد والزهرة ، باعتبارهما أقرب الكواكب لها ، بل سيصل غلافها الخارجى إلى أفق السماء ، وتبتلع القمر أيضا ، وتمتد الشمس بذلك جو الأرض بغازاتها الحامية المستعرة وتصل درجة حرارة سطحها إلى حوالى ٣٠٠٠ درجة مئوية ، نظرا لانتشار الحرارة على سطح أكبر

ملايين المرات من سطحها الخافى ، ويصبح لونها احمر ، وتسمى الشمس فى هذه الحالة بالعملاق الأحمر .

بعد أن تكور وانتفخ سطحها إلى الخارج ، فتأمل معى هذه الآيات القرآنية الكريمة التالية :

« إذا الشمس كورت » وقوله تعالى : « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين » . « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » . أى إذا انشقت السماء فكانت حمراء كالزيت المغرق !

وقوله تعالى :

« فإذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذ أين المفر » .

وقد تشير هذه الآية إلى اختفاء القمر فى باطن الشمس ، عند تحولها إلى عملاق أحمر يخطف الأبصار ، ودعة الإنسان عندئذ فى الفرار من شدة الحرارة التى تصل إلى آلاف الدرجات بالقرب من سطح الأرض مما يؤدى إلى اشتعال مياه البحار ، نظرا لتحلل الماء إلى عنصريه : الأيدروجين القابل للاشتعال ، والأكسجين المساعد على الاشتعال ، مصداقا لقوله تعالى :

« وإذا البحار سجرت » .

هذا عن شيخوخة الشمس وتكورها إلى عملاق أحمر .

أما عن وفاة نجم الشمس ، فسوف تتحول عليا عقب هذا الحدث إلى قزم أبيض بتكورها متكمشة بالجاذبية إلى الداخل ، حيث يصغر حجمها جدا ، وتتكدر بهائيا ، وينحسر ضوؤها وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت » .

هذه هى علامات الساعة ، يعرضها القرآن الكريم فى إعجاز علمى رائع ، يتفق ونظرة العلم الحديث .

حقا إن الكون الخالى نظام وإحكام ودقة . ولكن هذا النظام الكونى العظيم الذى يشبه العقد الموصول ، سوف يحدث له فى النهاية خلل يؤدى إلى انفراط حباته ، عندما ينقطع الحبل الواصل بين حباته فى أى جزء منه .

فهل قرأ سيدنا محمد ﷺ كتب الفلك الحديثة ليعرف انشقاق القمر ، وتكور الشمس إلى الخارج أو الداخل ، لتتحول إلى عملاق أحمر ، ثم إلى قزم أبيض ؟ ! ألا ساء ما يحكم الكافرون . ثم أليس فى ذلك الدليل الأكيد على أن القرآن الكريم من لدن عليم حكيم ، يعلم كل شىء فى الكون ، لأنه خالقه وبارئه ؟

هذه بعض النماذج التى رأينا الابتداء بها تدليلا على الإعجاز العلمى للقرآن ، وهناك غيرها الكثير والكثير ، مما نأمل أن نتناوله فى مناسبات تالية ، إن شاء الله . □

وجادلهم بالتى هى أحسن

حكم القاضى شريح ضد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فى أمر سيف تنازعه علىّ مع يهودى ، ولم يقدم على بينة على دعواه ، فأدهشت عدالة الإسلام اليهودى ، فآمن به أمام هذا القاضى النزيه !

إبراهيم مصباح

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » .

كما أكد الإسلام حرية العقيدة لغير المسلم ، مصداقا لقوله تعالى : لكم دينكم ولى دين . وأعطى غير المسلم : مسيحيا كان أو يهوديا حقوقه كاملة فى العقيدة وغير العقيدة . وقال الرسول ﷺ : من عادى ذميا فقد عادانى .

وتجلت هذه المعانى فى زواجه ﷺ من مارية القبطية ، وفى قبوله هدايا المقوقس عظيم القبط ، وفى رقة وصيته ﷺ بهم ، حيث قال :

انكم ستفتحون مصر ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لكم فيها نسبا وصهرا .

والنسب : يرجع إلى هاجر المصرية زوج إبراهيم عليه السلام . وأم اسماعيل عليه السلام ، الذى تفجر ماء زمزم من تحت رجليه ، عندما أحس هو وأمه بالعطش ، وذلك كما حدثنا التاريخ الواثق .

والصهر : يرجع إلى مارية القبطية هدية المقوقس إلى رسول الله ﷺ ، وزوجه ، وأم إبراهيم بن محمد الرسول الأمين ، وهى من قرية قرب الأشمونين بمحافظة المنيا ، من صعيد مصر .

ومن هذه المعانى الكبار على مدار تاريخ الإسلام ، ما رواه التاريخ الواثق ، من أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عندما تسلم بيت المقدس من « البطريرك صفرنيوس » رفض أن يصلى فى كنيسة القيامة ، رغم دعوة البطريرك له أن يصلى بها . وقال عمر قولته الشهيرة على مدى عصور التاريخ :

أخشى أن أصلى هنا ، فى كنيسة القيامة ، فيأتى من بعدى من المسلمين ، من يقول : صلى هنا أمير المؤمنين ، ويتخذونها مسجدا !

هذه بلا ريب بعض صور العدالة ، والسماحة فى الإسلام ، على سبيل المثال لا الحصر . وفى هذا المجال يقرر الباحث الإسلامى الشيخ محمود حسنين العيسوى : أنه ، لا شك منصف فى أن

د . محمود حسنين العيسوى

قوة الإسلام وشدة جاذبيته فى مسألة من بسائله ، وسماحته نحوه مما يحصنه ، تيسيرا له وتسهيلا عليه ، ولا يشك كذلك فى أن بقاء الإسلام إلى يوم الدين فى عدله ووداعته ، يحب الإنصاف ويكره الإجحاف ، من غير تفرقة بين مسلم وغير مسلم ، أو بين قريب وبعيد ، أو بين جار ذى قربى وجار جنب : تشهد بذلك قصة يهودى اتهم ظلما بسرقة على عهد رسول الله . فاستأنف الله حكم رسوله ليديره على طائفة ممن ادعى الإسلام ، وأنزل قوله : « ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا » وقصة يهودى آخر حكم له القاضى شريح ضد أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى أمر سيف تنازعاه ، ولم يقدم علىّ بينة على دعواه . فأدهشت اليهودى عدالة الإسلام فآمن به أمام هذا القاضى النزيه .

وهذا نصرانى فى مصر ضربه أحد أبناء واليها عمرو بن العاص وهو يقول : « أنا ابن الأكرمين » فدعا الجميع عمر بن الخطاب إلى المدينة ، ولما تبين له وجه الحق قال للنصرانى : اضرب ابن الأكرمين ، ثم قال لأبيه عمرو بن العاص قولته الخالدة : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

والإسلام بين مسالمه ومسالمته يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرق بين أحد من رسله ، فى أضواء كلمات مشرقات من رسوله الكريم « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا الا موضع لبنة فى إحدى زواياه ، فجعل الناس يطوفون ويقولون : ما أجمله ، ما أحسنه لولا هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » وسمع ﷺ يقول لعداس النصرانى حارس بستان أولاد ربيعة بالطائف ، وقد قدم له قطفا من العنب ، « أنت من قرية أخى يونس ؟ ذاك نبى وأنا نبى » ويقول أيضا « الأنبياء إخوة أبناء علات (ضرائر) شتى وأبوهم واحد » يعنى الإسلام .

وأعظم ما أنزل على رسول الله فى هذا المجال « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

وهذه الوحدة الواضحة فى الله ورسله ، كان المؤمن بها مسلما قبل مولد نبى الإسلام ومبعثه . قال تعالى « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

وتجلت المعانى الكريمة فى قول الرسول الكريم « من عادى ذميا فقد عادانى » وفى تلقيه عن ربه ما يوجب مودة أهل الكتاب « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان » .

وكان مؤثرا من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن يقف لجنازة يهودى حاربه ، مرت عليه ، فقالوا إنه يهودى وقد حاربك ، فقال « أليس إنسانا ؟ » ومما أكرم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أعطى شيخا يهوديا من بيت مال المسلمين وقال له : أعلمنا منك الجزية شابا فلما تركك شيخا .

ولم تقف مودة الإسلام عند أهل الكتاب فحسب ، بل تجاوزتهم إلى المسالمين من المشركين حين تطلعت « نتيلة » إلى صدقات أبى بكر بعد أن فارقها لإصرارها على شركها ، فأنزل الله على نبيه من سورة الممتحنة « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

ولما سألت ابنتها أسماء من أبى بكر رسول الله : هل تعطى أمها المشركة من صدقات أبيها المسلم ؟ أجاب الله فورا بالآية الشريفة من سورة البقرة « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » . □